الرسائل الإخوانية

كتب الوزير أحمد بن عبد الملك بن شهيد إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر مرسلاً له هدية ، وفيه يعترف للناصر بالنعمة والشكر عليها ، ويعبر عن وده الخالص له، وأنه يتصيد إرضاءه ومسرته، وقد فسر هديته تلك وأثبت محتوياتها في رسالته، ومما جاء في تلك الرسالة :

" ولما علمت تطلُّع مولاي – أيّده الله تعالى – إلى قرية كذا بالقذبانية المنقطعة الغرس في شرقها، وترداده – أيّده الله تعالى – لذكرها، لم أهنأ بعيش حتى أعملت الحيلة في ابتياعها بأحوازها، وأكتبت وكيلة بن بقيّة الوثيقة فيها باسمه ، وضمها إلى ضياعه، وكذلك صنعت في قرية شيرة من نظر جيَّان، عندما اتصل بي من وصفه لها، وتطلعه إليها، فما زلت أتصدى لمسرته بها حتى ابتعتها الآن بأحوازها، وجميع منازلها وربوعها . . "

مقدمة :

فن الرسائل فن من الفنون الأدبية النثرية التي سادت في العصر الأندلسي سيادتها في العصور العربية الأخرى، وكان لها عند الأندلسيين قسمان : قسم غايته محاكاة الأشياء أو التأمل في بعض المشكلات ومناقشتها من دون الالتفات إلى الأسلوب البياني والبلاغي، وقسم آخر بياني النزعة غايته إظهار البراعة الأسلوبية والبلاغية وهناك رسائل تجمع بين هذين القسمين. والرسالة التي بين أيدينا بيانية النزعة؛ غايتها إظهار البراعة الأسلوبية والبلاغية ، وهي من

الرسائل الإخوانية كتب فيها الوزير أحمد بن عبد الملك بن شهيد إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر مرسلاً له هدية ، وفيه يعترف للناصر بالنعمة والشكر عليها ، ويعبر عن وده الخالص له ومحبّته له ورغبته في نيل رضاه .

-معاني النص :

بدأ المرسِل رسالته بالدعاء للأمير ، ودخل مباشرة في موضوعها وهو ابتياع قرىً أندلسية كان الأمير يردد ذكرها في مجالسه ، وقد قدّم المرسِل تلك القرى هديّةً خالصةً تعبيراً عن حبه للأمير ونيل مودّته ورضاه

-رموز النص التي استخدمها الكاتب ودلالاتها:

اعتمد الكاتب على رموز بسيطة من خلال تحديد الإطار الجغرافي للقرى التي ابتاعها للأمير والتي تقع في شرقي الأندلس ، تلك الجهة المحبّبة للعرب الذين وفدوا إلى الأندلس لما فيها من خيرات وطبيعة ساحر بما فيها قرية (شيرة) التابعة لـ(جيّان) .

- **المؤثرات المشرقية :**

خلت هذه الرسالة عموماً من المؤثرات المشرقية ، عدا البدء بالدعاء للأمير في مطلع الرسالة بقوله : (أيده الله تعالى) في قالب الجملة المعترضة التي كررها في السطر الثاني من الرسالة .

فلم يعتمد الكاتب في رسالته على الأمثال أو الاستشهاد بالأشعار ولم يُشر إلى شخصيات معروفة أو أحداث معلومة .

- **الأساليب البلاغية واللغوية والتصويرية والفنية :**

1-السجع : نلاحظ تركيز الكاتب على السجع في رسالته في نهاية جمل الرسالة على الرغم من طولها ، مما يدلّ على تأثّره الواضح والتزامه بالنمط المشرقي للرسائل ، كما في قوله (" في شرقها، لذكرها، بأحوازها، باسمه ، ضياعه ، وصفه لها، وتطلعه إليها، بأحوازها، وجميع منازلها وربوعها . . "

2-البديع : يلاحظ خلو الرسالة عموما من أصناف البديع عدا طباق السلب في قوله (لم أهنأ – لمسرته) في محاولة منه لإبراز التناقض الحاد بين حال الكاتب المضطربة الساعية ليل رضا الأمير ورؤية السرور والبهجة على محيّاه .

3- أما الألفاظ فقد كانت في معظمها سهلة واضحةً وبسيطة وموحية بمراد الكاتب في خطابه الأمير ، كما في قوله : (علمت ، مولاي ، قرية ، الغرس ، لم أهنأ ..) ، وكذلك **تراكيب النص** فهي مترابطة ومنسجمة مع بعضها ومناسبة لأداء المعاني التي أراد الكاتب إيصالها.

4- الأفعال : اعتمد الكاتب على الأفعال لسيرورة النص وأداء الحركة المعنوية فيه. وقد أجاد الكاتب كل الإجادة في هذا الأسلوب، وكان له تأثيره الدلالي والمعنوي في المتلقي لتتحرك انفعالاته للوصول إلى متبغى الكاتب في الحصول على رضا الأمير عليه .

كما نلحظ اعتماد الكاتب على الأفعال الماضي في رسالته مل (علمت – أيّدك – أكتبتُ – صنعتُ – اتصل ..) لما فيها من دلالة على تحقق وثبات الكاتب في إرساله الهدية إلى الأمير ولتمكين سرد الحوادث بدءاً من علم الكاتب برغبة الأمير في تلك القرى وصولاً إلى ابتياعها له والحصول على مرضاته بأسلوب سردي خبري صور فيه الكاتب ما فعله بالتفصيل .

5- المعجم الدلالي:

وإذا انتقلنا إلى المعجم الدلالي للمفردات فنجد أن معظمها يدور في فلك الأراضي التي ابتاعها الكاتب للأمير ، لأنها كانت تشكل السبب الرئيس الذي صيغت الرسالة من أجله مثل (قرية – القذبانية – أحوازها – ضياعه – منازلها – ربوعها ..) . وقد أسهم المعجم بألفاظه في رسم صورة واضحة للهدية التي قدّمها الكاتب للأمير .

خاتمة :

إن النثر في العصر الأندلسي لبس أثواباً عديدة وكان في بعضه يحاكي التراث المشرقي أي يحاكي طرائق ابن المقفع وسهل بن هارون والجاحظ أو كتاب القرن الرابع مع ذلك كان لكل كاتب من هؤلاء خصوصيته في أخذ لون من هذه الألوان والنسج على منوالها، وإخراجها بنكهة أدبية خاصة تحدد ميوله وأساليبه.

الرسائل السياسية :

من بواكير رسائل الزجر والتهديد ما كتبه الأمير عبد الرحمن الداخل إلى رجل خارج عليه يدعى سليمان الأعرابي ، يدعوه بالرجوع عن غروره ويهدده بالبطش به إن هو لم يستجب لدعوته ، يقول :

" أما بعد . فدعني من معاريض المعاذير ، والتعسف عن جادة الطريق ، لتمدّنّ يداً إلى الطاعة ، والاعتصام بحبل الجماعة ، أو لألقينّ بنابها على رضف المعصية ، نكالاً بما قدمت يداك ، وما الله بظلام للعبيد ".

مقدمة :

فن الرسائل فن من الفنون الأدبية النثرية التي سادت في العصر الأندلسي سيادتها في العصور العربية الأخرى، وكان لها عند الأندلسيين قسمان : قسم غايته محاكاة الأشياء أو التأمل في بعض المشكلات ومناقشتها من دون الالتفات إلى الأسلوب البياني والبلاغي، وقسم آخر بياني النزعة غايته إظهار البراعة الأسلوبية والبلاغية وهناك رسائل تجمع بين هذين القسمين. والرسالة التي

بين أيدينا بيانية النزعة؛ غايتها إظهار البراعة الأسلوبية والبلاغية ، وهي من الرسائل السياسية أرسلها الأمير عبد الرحمن الداخل إلى رجل خارج عليه يدعى سليمان الأعرابي ، يدعوه بالرجوع عن غروره ويهدده بالبطش به إن هو لم يستجب لدعوته .

- **معاني النص :**

بدأ الكاتب هذه الرسالة بالدّخول في موضع الزجر والتهديد دون التمهيد لذلك بالتحية أو الدعاء لسببين : الأول أن المرسِل هو الأمير والقائد الأعلى للدولة بما فيها جيشها والمرَل إليه هو جندي انشقّ عن الجيش وتمرّد على طاعة الأمير ، والسبب الثاني أن الأمير في حالة شعورية يملؤها الغضب وشخصيته في تلك الرسالة حازمة مناسبة للأوامر التي سيتلوها على مرؤوسيه ومنهم الجندي المتمرد الذي وُجِّهت إليه الرسالة .

لذلك كان طلب الأمير الأول هو النأي عن كثرة الكلام المتمثل بالأعذار التي دفعت بالجندي إلى التمرد ودعوته إلى العودة الفورية إلى طاعة قائده الذي اجتمعت حوله الأمة ودانت له الدولة بالطاعة ، وإلا فإن العقاب سيكون شديداً في انتظاره ، لينهي خطابه باقتباس من القرآن الكريم بقوله (وما الله بظلامٍ للعبيد) .

- **رموز النص التي استخدمها الكاتب ودلالاتها:**

لم يحفل النص برموز كثيرة لِقصر النص الذي بين أيدينا ، لكن ما رأيناه عندما دعا مرؤوسه إلى الاعتصام بحبل الجماعة أعدنا في الذاكرة إلى قوله تعالى

(واعتصموا بحبل الله جميعاً) ومالها من دلالات تؤكّد أهمية وحدة الصف وعدم التفرقة والاقتباس الثاني كان واضحاً في رسالة الأمير وهو ما ختم به رسالته من قوله تعالى (وما الله بظلّامٍ للعبيد) في دلالة واضحة على عزم الأمير إحقاق الحق وفيها إشارة وضحة إلى التزام الأمير بميزان العدل وعدم خروجه عن شرع الله في علاقته بمرؤوسيه .

- **المؤثرات المشرقية :**

كان التجديد واضحاً في سالة الأمير على عادة الأندلسيين ، فلم يبدأ رسالته بالبسملة والحمد بل بدأ بموضوعه مباشرة ، وعلى الرغم من ذلك كان الاقتباس واضحاً في قوله (الاعتصام بحبل الجماعة) في إشارة إلى قوله تعالى :

(واعتصموا بحبل الله جميعاً) والاقتباس الثاني في قوله في آخر رسالته : (وما الله بظلام للعبيد) على عادة المشرقيين في الاقتباس والتضمين .

-الأساليب البلاغية واللغوية والتصويرية والفنية :

1-السجع : نهج الكاتب في رسالته منهج المشرقيين في عدم التكلف في الاعتماد على السجع ، فرأينا السجع في رسالته عفوياً بعيداً عن التكلّف .

2-البديع : ظهر طباق الإيجاب فب قوله (الطاعة – المعصية) لإبراز التناقض الحاد بين من يكون تحت طاعة الأمير وبين من يكون خرجاً عليه عاصياً له .

والجناس الناقص ظهر في موضعين ، في قوله (معاريض – معاذير) وفي قوله (الطاعة – الجماعة) وقد ساهم الجناس في إضافة نغم موسيقي للنص .

ولعل الفترة الزمنية التي كتبت فيها الرسالة لم تسمح لكتابها بالاستقلال أو التجديد على نماذج نظرائهم في المشرق العربي .

3- أما الألفاظ : فقد كانت في معظمها سهلة واضحةً وبسيطة وموحية بمراد الأمير في خطابه الجندي ، كما في قوله : (فدعني ، التعسف ، الطريق ، الطاعة ، المعصية ..) ولم تخلَ الرسالة من بعض الألفاظ الجزلة ومثل (معاريض ، المعاذير)، وكذلك **تراكيب النص** فهي مترابطة ومنسجمة مع بعضها ومناسبة لأداء المعاني التي أراد الكاتب إيصالها.

4- الأفعال : نوّع الكاتب في اعتماده على الأفعال للدلالة على سيرورة النص وأداء الحركة المعنوية فيه. وقد أجاد الكاتب كل الإجادة في هذا الأسلوب، وكان له تأثيره الدلالي والمعنوي في المتلقي لتتحرك انفعالاته للوصول إلى متبغى الأمير في إيصال رسالته إلى الجندي الخارج عليه ، كذلك أنهى الرسالة بجملة اسمية أكّد محتواها بالنفي وزيادة الباء ليدل على أنه ماض في إحقاق الحق ولن يحيد عن حكم أو رأي اتخذه ، ودلت الجملة الاسمية على ثبات الأمير على رأيه لأنه مستند إلى عدل ربّ العالمين الذي لا يظلم أحداً .

كما نلحظ اعتماد الكاتب على الإنشاء الطلبي في رسالته مثل (دعني – لَتمدّن) لما فيها من إبراز انفعالات الأمير ومشاعر الغضب من الجندي الخارج عيله بما يناسب موضوع الرسالة في الزجر والتهديد والوعيد .

5- المعجم الدلالي:

وإذا انتقلنا إلى المعجم الدلالي للمفردات فنجد أن معظمها يدور في فلك الزجر والوعيد مثل (دعني – لتمدّنّ – الطاعة – المعصية- الاعتصام – الجماعة ..) وقد ساهم المعجم في إيضاح مقاصد النص وفكرته الرئيسة المتمثلة بزجر الجندي الخارج على الأمير وكفّه عن خروجه عليه ومعصيته له. .

خاتمة :

إن النثر في العصر الأندلسي لبس أثواباً عديدة وكان في بعضه يحاكي التراث المشرقي أي يحاكي طرائق ابن المقفع وسهل بن هارون والجاحظ أو كتاب القرن الرابع مع ذلك كان لكل كاتب من هؤلاء خصوصيته في أخذ لون من هذه الألوان والنسج على منوالها، وإخراجها بنكهة أدبية خاصة تحدد ميوله وأساليبه.